المحاضرة 2

إعجاز المفردة القرآنية

المحتويات :

1-مدخل إلى إعجاز المفردة القرآنية :

2- خصائص المفردة القرآنية :

أ/ الدقة في الوضع

ب/ الدقة في الاختيار

ج/ الدقة في الوصف

د/ الدقة في المعنى

1-مدخل إلى إعجاز المفردة القرآنية :

لقد نالت المفردة القرآنية حيزاً واسعاً من الدراسات اللغوية؛ البلاغية، والبيانية، هذا كتاب يبحث في المفردة في القرآن :« يقول السامرائي في مقدمة كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني الكريم . والمقصود بـ"المفردة" هو الكلمة الواحدة كما هو معلوم . إن موضوع المفردة في القرآن موضوع واسع متشعب الأطراف متعدد المناحي».[1] ولا ريب في ذلك، سيّما إذا تعذّر علينا فهم المقصود من طريقة استخدام هذه الكلمة بالشكل الذي استُخْدِمتْ فيه، حتى وإن فهمنا المجال الذي يطّرد استخدامها فيه.

لقد وضع العلماء والباحثون في مجال الدراسات القرآنية معاجم خاصة بمفردات القرآن الكريم، بحسب الحقول الدلالية الواردة فيه؛ فوجدنا منها معاجم غريب القرآن، معاجم حروف المعاني، « ثم ألفت عدة معاجم تخصصية أخرى منها : معجم ألفاظ الإنسان في القرآن، ومعجم ألفاظ الحيوان في القرآن، ومعجم ألفاظ الزمان في القرآن، ومعجم ألفاظ الكون الواردة في القرآن، ومعجم ألفاظ المصنوعات في القرآن، ومعجم ألفاظ المكان في القرآن، ومعجم ألفاظ القبائل والأمم والشعوب في القرآن، ومعجم ألفاظ الأخلاق في القرآن، ومعجم الألفاظ التجارية والمالية في القرآن».[2] ومعجم أفراد القرآن؛ أي المفردات التي وردت مرة واحدة في القرآن كله .

وهذا الراغب الأصفهاني يقول في كتابه مفردات ألفاظ القرآن: إن أول ما يُحتاج أن يُشتَغَل به من علوم القرآن، العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيقُ الألفاظ المفردة فتحصيلُ معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ...وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علمٍ من علوم الشرع، فألفاظ القرآن : هي لبّ كلام العرب وزبدتُه وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مَفزعُ الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ».[3]

ولا يختلف الباحثون المحدثون في هذا الأمر كذلك؛ إذ يقول أحدهم في كتابه" الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم" :« ولكن غالبية العرب أدركت تميّز طبيعة القرآن وانفراده بكون معجزته هي الكلمة التي يعرفون مدلولها، ويأخذون ويعطون بمفهومها، وأن الإعجاز سر مضمر فيها، تتهدى إليه العقول، وتتعرف عليه البصائر».[4]

وعلى العموم فإن مجال الحديث عن الدراسات التي تناولت المفردة القرآنية واسع لكن يمكن القول اختصارا: إن بحث العلماء واللغويين في سر التميّز في الاستخدام القرآني لألفاظه، خلق إجماعا على أن إعجاز المفردة القرآنية يتراوح بين دقة الألفاظ وروعتها.

2-خصائص المفردة القرآنية :

إن تذوق الكلمة العذبة ووضعها في أي تعبير جميل هو فطرة في النفوس ، يشعر به كل صاحب ذوق سليم فلو تدبرنا القرآن الكريم لوقفنا على مدى عنايته باللفظة المستعملة فيه.

وقد بين "الجاحظ" أهمية الكلمة القرآنية بقوله " : وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع ، إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة".

كما تحدث "الخطابي" عن مناسبة الكلمة بقوله " : ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص".

وتحدث "عمر السلامي" عن خصائص المفردة القرآنية في كتابه " الإعجاز الفني في القرآن" و عددها كما يلي:

أ/ الدقة في الوضع:

وهو أن تأتي اللفظة القرآنية في موضعها في الآية ، من غير تقديم ولا تأخير ، كأنما وجدت لهذا المكان ، فأصبح من العسير بل من المستحيل ، أن نستغني عنها بكلمة أخرى، والغاية من دقة الوضع ، هي الدقة في الوضوح يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر: 41]، فلفظة (بالحق) التي هي نقيض الباطل، توحي أن أمام الإنسان منفذا واحدا، بعيدًا عن الباطل ، و بأن القرآن أنزله الله بالحق ليمثل الحق .

ب/ الدقة في الاختيار:

أي أن لفظة القرآن مختارة من بين مجموعة من الألفاظ ولا يمكن استبدالها بلفظة أخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [العنكبوت: 58]، فلفظة (لَنُبَوِّئَنَّهُم) لفظة مختارة ، قوية بجرسها، وما تملكه من إيحاء، ولقد اختيرت دون الألفاظ الأخرى، لتوحي بأنه وعد من الله أن يبوئ المؤمنين من الجنة غرفا.

جـ/ الدقة في الوصف:

تعني ما تحمله اللفظة القرآنية من دقة في وصف الأشياء ، فالقرآن الكريم ، يصف الرسول وأصحابه بأنه أشداء على الكفار رحماء بينهم في الآية 29 من سورة الفتح، إذْ جاءت الآية القرآنية في غاية الدقة، في قوله تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾. إن ما تحمله لفظتا (أشداء و رحماء) من دقة في الوصف، لتنقل نفسية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقتهم مع بعضهم البعض؛ فلفظة (رحماء) وما تحمله من جرس قوي معبرا عن مدى عظم الرحمة والتعاطف والألفة والأخوة، و لفظة (أشداء) تحمل نفسا شديدا في صيغتها و حروفها توحي بمدى صلابة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وشدة موقفهم الموحد أمام أعداء الله.

د/ الدقة في المعنى:

وهي ناتجة من الدقة في الوضع والاختيار والوصف ، وإن اللفظ يحمل معنىدقيقاً ، وهذه الدقة تسود القرآن كله ، ولكنها تحتاج إلى شيء من التدبر والإمعان ، ونلمس هذا في قوله تعالى: أَلَمۡ﴿ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النمل: 86]. إن دقة معنى (لِيسكنوا ،) يتمثل في أن الإنسان بعد التعب في النهار ، يستسلم إلى هدوء الليل ، ليسكن فيه ، ويجد فيه راحة النفس .

هـ/ التناسق :

حيث تتداعى المعاني بتسلسل منطقي ، ويحصل هذا التداعي عند الوقوف على الألفاظ والمعاني وتحليلها ، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: 28] . إن إتباعهم لما أسخط الله والذي يمثله لفظتان :(أسخط) و (كرهوا) ، يناسبه حبط في الأعمال ، إنه تناسق عجيب في المعنى .

---

[1] فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ط1 ، 2008، ص 5.

[2] أحمد حسن الخميسي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، العدد 93 و، 94 مارس وجوان 2004 ، ص23 .

[3] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1 ، ص4 .

[4] محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية، دار الكتب الوطنية، بنغازي،2006 ص19 .